فاذا اخذتكم فبردوا الماء في الشنان ثم صبوا عليكم بين الصلاتين يعني المغرب والعشاء قال
ففعلوا ذلك فذهبت عنهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلق السوء اذا املى شرا من بطن
فاذا كان لابد فاجعلوا ثلثا للطعام وثلثا للشراب وثلثا للريح وهذا الحديث اصل
جامع لاصول الطب كلها وقد روي ان ابن ماسويه الطبيب لما قرأ هذا الحديث في كتاب ابي
خيثمة قال لو استعمل الناس هذه الكلمات سلموا من الامراض والاسقام ولتعطلت المارستا
نات ودكاكين الصيادلة وانما قال هذا لان اصل كل داء التخم كما قال بعضهم اصل كل داء البردة
وروي مرفوعا ولا يصح رفعه وقال الحارث بن كلدة طبيب العرب الحمية راس الدواء والبطنة راس
الداء ورفعه بعضهم ولا يصح ايضا وقال الحارث ايضا الذي قتل البرية واهلك السباع
في البرية ادخال الطعام على الطعام قبل الانهضام وقال غيره لو قيل لاهل القبور ما كان
سبب آجالكم قالوا التخم فهذا بعض منافع تقليل الغذاء وترك التملي من الطعام بالنسبة
الى اصلاح البدن وصحته واما منافعه بالنسبة الى القلب وصلاحه فان قلة الغذا
توجب رقة القلب وقوة الفهم وانكسار النفس وضعف الهوى والغضب وكثرة الغذا توجب
ضد ذلك قال الحسن يا ابن آدم كل في ثلث بطنك واشرب في ثلث بطنك ودع ثلثه للتنفس
لتتفكر وقال المروذي جعل ابو عبد الله يعني احمد يعظم امر الجوع والفقر فقلت له
يوجر الرجل في ترك الشهوات فقال وكيف لا يوجر وابن عمر يقول ما شبعت منذ اربعة
اشهر قلت لابي عبد الله يجد الرجل في قلبه رقة وهو يشبع قال ما ادري ثم روى المروذي
عن ابي عبد الله قول ابن عمر هذا من وجوه فروى باسناده عن ابن سيرين قال رجل لابن عمر
الا اجيئك بجوارش قال واي شيء هو قال يهضم الطعام اذا اكلته قال ما شبعت منذ
اربعة اشهر وليس ذلك الا اني لا اقدر عليه ولكن ادركت اقواما يجوعون اكثر مما يشبعون
وباسناده عن نافع بن خديج قال جاء رجل بجوارش الى ابن عمر فقال ما هذا قال جوارش
شيء يهضم به الطعام قال ما اصنع به اني ليأتي علي الشهر ما اشبع فيه من الطعام
وباسناده عن رجل قال قلت لابن عمر يا ابا عبد الرحمن رقت مضغتك وكبر سنك وجلساؤك

المعرض حال فلا حرج عليه ومن كلف نفسه ذلك حتى اضعفها عن بعض الواجبات فانه ينكر عليه ذلك
وكان السلف ينكرون على عبد الرحمن بن ابي نعيم حيث كان يترك الاكل مدة حتى يعاد من ضعفه
القسم الثالث ما اجرى الله به العادة في الدنيا في الاعم الاغلب وقد يخرق العادة في ذلك
لمن يشاء من عباده وهو انواع منها ما يخرقه كثيرا ويغني عنه كثيرا من خلقه كالادوية بالنسبة
الى كثير من البلدان وسكان البوادي ونحوها واختلف العلماء رضي الله عنهم هل الافضل لمن اصابه المرض
التداوي ام تركه لمن حقق التوكل على الله وفيه قولان مشهوران وظاهر كلام احمد ان التوكل لمن قوي
عليه افضل لما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يدخل الجنة من امتي سبعون الفا بغير حساب ثم قال هم
الذين لا يتطيرون ولا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون ومن رجح التداوي
قال انه حاله صلى الله عليه وسلم الذي كان يداوم عليه وهو لا يفعل الا الافضل وحمل الحديث على الرقى المكروهة
التي يخشى منها الشرك بدليل انه قرنها بالكي والطيرة وكلاهما مكروه ومنها ما يخرقه قليلا من عباده
كحصول الرزق لمن ترك السعي في طلبه فمن رزقه الله صدق اليقين وتوكل على الله وعلم من الله انه يخرق
العوائد له ولم يحوجه الى الاسباب المعتادة في طلب الرزق ونحوه جاز له ترك الاسباب ولم ينكر عليه ذلك
وحديث عمر هذا الذي نتكلم عليه يدل على ذلك ويدل على ان الناس انما يؤتون من قلة تحقيق التوكل
ووقوفهم مع الاسباب الظاهرة بقلوبهم ومساكنتهم الظاهرة لها فلذلك يتعبون انفسهم
في الاسباب ويجتهدون فيها غاية الاجتهاد ولا يأتيهم الا ما قدر لهم فلو حققوا التوكل على الله بقلوبهم
لساق الله اليهم ارزاقهم مع ادنى سبب كما يسوق الى الطير ارزاقها بمجرد الغدو والرواح وهو نوع
من الطلب والسعي لكنه سعي يسير وربما حرم الانسان رزقه او بعضه بذنب يصيبه كما في
حديث ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وفي حديث جابر رضي
الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا
في الطلب خذوا ما احل ودعوا ما حرم وقال عمر رضي الله عنه بين العبد وبين رزقه حجاب فان قنع
ورضيت نفسه اتاه الله رزقه وان اقتحم وهتك الحجاب لم يزد فوق رزقه وقال بعض
السلف توكل تساق اليك الارزاق بلا تعب ولا تكلف قال سالم بن ابي الجعد حدثت ان
عيسى عليه الصلاة والسلام كان يقول اعملوا لله ولا تعملوا لبطونكم واياكم وفضول الدنيا
فان فضول الدنيا عند الله رجز هذه طير السماء تغدو وتروح ليس معها من ارزاقها شيء